وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

كابوس

مسرحية من أربعة فصول



علي محمد

من المسرح ٢٢

كابوس

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد

علـي محمـد

كـابـوس

مسرحية من أربعة فصول

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

كابوس: مسرحية من أربعة فصول / علي محمد . - دمـــشق: الهيئة العامة الـــسورية للكتـــاب، ٢٠١٢م . - ٧٢ ص؛ ٢٠ سم.

(من المسرح؛ ٢٢)

١ - ٨١٢,٠٤٣ م ح م ك ٢ - العنوان ٣ - محمد
٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

من المسرح

«٢٢»

الشخصيات

١ - الرجل
٢ - الصديقة أو المقوسة أو هند.
٣ - الزوجة السابقة للرجل.
٤ - الحَجّاج.. هو ليس الحجاج.. لكن الشخصية اختارت الاسم.
٥ - الحيوان..

صور لوجوه معلقة تتحول إلى شخوص

١ - الأب.
٢ - الصديق.
٣ - الأم.

فتيات وفتيان الإعلانات

أربعة رجال يلبسون ثياباً عسكرية ورابع يلبس ثياباً مدنية.

مجموعة من رجال يقفون فوق أبراج خشبية ويحملون قصبات لصيد السمك.

مجموعة من رجال ونساء يؤدون دور عامة الناس.

ثلاثة رجال وامرأة بظهور وحيد على الخشبة

الفصل الأول

الخشبة تأخذ شكل غرفة كثيرة الظلال. تظهر في مقدمتها امرأة في الثلاثين من عمرها تلبس سروال جينز وقميصاً أبيض (سنسميها الصديقة)، وتخاطب الجمهور: سأقدم لكم شلتنا.. هاجسها المسرح.

تتراجع لنرى سريراً بقوائم حديدية، طاولة وكرسياً من الخيزران ومقعداً واحداً مريحاً.. مغسلة ومكتبة يبرز من واجهتها تلفاز وكومبيوتر. جدار الخشبة المواجه للصالة علقت عليه ثلاث صور، واحدة لرجل في السبعين ولآخر في الأربعين ولامرأة في الستين. والصور يمكن إزاحتها ليظهر مكانها رأس صاحب الصورة.

في طرف الغرفة البعيد عن السرير وقرب الجدار قفص حديدي كبير علقت بداخله صورة لامرأة في العقد الرابع، والقفص مزدحم بثياب معلقة وبحقائب يد وأحذية. في ما تبقى من القفص توجد دمى كالتي توضع في واجهات محلات بيع الألبسة لكنها هنا مرمية على الأرض.

ثمة نافذة بستائر، والإضاءة باهتة، ورجل في العقد الخامس (سندعوه الرجل) يجلس على كرسي خيزران وظهره للصالة وبعد زمن ما يبدأ الكلام:

في الواقع أيضاً، وليس هنا فقط، أعيش في غرفة كهذه. ينهض بتكاسل ويتابع:

كما تعرفون: «الإنسان يعاشر الآخرين لكنه يحيا لوحده»، ويزداد نشاطاً وهو يتحرك متابعاً:

هذه الصور (مشيراً لتلك المعلقة) هي لأمي ولأبي والثالثة لصديق (سندعوه نحن الوجه).

يقف الرجل إلى جوار الصورة ويتابع: بالأحرى هذه نافذة الأصدقاء، ويخرج من جيبه جهاز تحكم ويضغط عليه عدة مرات فتتغير الصورة المعلقة، وفي النهاية تعود صورة الوجه لتظهر ثم يتابع:

وتلك امرأة (مشيراً إلى القفص مع نمو تدريجي للإضاءة عليه لنرى صورة لامرأة بالحجم الكامل تزاح بالتدريج لتظهر مكانها امرأة في الأربعين من العمر تمسك بقضبان الحديد) **تعاهدنا يوماً** (تعود الإضاءة، ضوء نهار، لتغمره لوحده بينما بقية الخشبة كليل قمر فتي) **على أن يمسك أحدنا بيد الآخر لحظة الموت،**

ومتردداً وبنبرة حزينة يتابع: **لكن أمسك كل منا بشيء آخر، حاولنا** أن.. يقاطعه صوت المرأة: **لا تتعب نفسك فأنا عندما أتذكرك أسمع شخيراً.**

- **الرجل متابع: وهكذا صارت زوجتي السابقة. بحثت مثلكم عن الحقيقة. دافعت عن الحرية، عن الإنسان، سعيت لتحقيق العدالة ونماء الشفافية.** (يدير ظهره للصالة ويتجه نحو السرير.. يتلاشى الضوء رويداً.. رويداً ومع اكتمال العتمة نسمع صوته): **مرت لحظات أحسست فيها بنور كوني يسري في عروقي.**

- تعود الإضاءة رويداً ضوء نهار والرجل ممدد على سريره، وبدلاً من الصور نرى وجوهاً في فتحات الحائط، وفي القفص الزوجة السابقة بلا تعبير محدد. يغادر الرجل السرير ويتجه نحو المغسلة.

- **وجه الأم يقول: صباح الخير يا ماما.**

- يلتفت نحوها بتثاقل ويهز رأسه محيياً.

- **صوت الأب: صباح الخير يا بابا.**

- يضع راحتيه على المغسلة وكأنه يستند عليها، ويلتفت نحو الرجل المسن ويقول:

يا أخي على بنا أنك.. (يظهر ألم على وجه الأب)، ويتابع غسل وجهه ويشرب كأساً من الماء.

- **صوت الأم: هنيئا يا ماما.**

- الرجل متبرماً: **لا حول ولا قوة.. ما هذا الصباح، أين القهوة.**

- تخرج الصديقة من خلف القفص وتبدو منزعجة، بل وثمة قليل من الغضب وتتحرك نحو الموقد لتحضر القهوة، وتتركها لتعود وتجلس خلف القفص بحيث نرى منها كتفاً وعين.

- يجلس الرجل على المقعد المريح.. **قدامه** منضدة صغيرة. ينظر إلى الصالة وبسخرية واضحة يقول:

قهوة الصباح، وبمزيد من السخرية.. وغناءً.. يتابع: «**أحن إلى قهوة أمي**» ويلتفت إلى الصديقة و: **الكلاب لا تشرب القهوة، وحده الإنسان يشرب القهوة، وذلك ما يميزه عن الصراصير والفئران**، وكمن يستدرك: بعض ما يميزه.

يمسك بيده جهاز تحكم عن بعد ويضغط عليه فتدخل الخشبة وبجلبة واضحة فتيات إعلان بلباس يكشف عن قسم من الصدر والفخذين وكل منهن تحمل لوحة إعلان عن نوع من القهوة (النعيم، البركة، الحبيب، كساندرا، الحاج متولي)، ويبدأن بالرقص والغناء:

تعال في الـــصباح   لقهــوتي الحنونـــة

فعطرهـــا فـــواح   نكهتهـــا مجنونـــة

يخرجن ضاحكات مرددات.. تعال في المساء.. تعال في المساء.

- الرجل يرشف القهوة التي تقدمها له الصديقة ويخاطبها: **هل تعرفين ما الذي يميز الإنسان عن الحيوان؟. ماذا تعلمت في تلك الجامعة مجمع التجهيل**!؟. ويتابع بالإيقاع السابق: **أفنيت زهرة شبابي محاربا الفقر والجهالة. فماذا جنيت؟. كلاهما نما وتطور وأنا لا أحلم بتقاعد مريح!. اقتصاديا أنا أكافئ بائع دخان مهرب يتبهنس في الشوارع، ومعنوياً أنا لا أكافئ شرطي مرور تنتفخ ثيابه بالمآثر كل ساعة**. ينظر إلى صورة الوجه على الجدار ويقول: **ما هي أخبار اليوم**؟. ثم يضغط على جهاز التحكم فيظهر صاحب الوجه، ويكرر سؤاله له: ما هي أخبار اليوم؟

- يحافظ الوجه على تعبيره الجامد ولا يرد.

- **الرجل: ماذا قالت الصحافة؟. من يحارب من؟.**

- **الوجه: لماذا لا تقرأ بنفسك؟.**

- **الرجل: أنت الأخر مكشر هذا الصباح!؟** ألا يكفي الآنسة (مشيراً إلى الصديقة)! **أتراكما عدتما إلى ذلك القديم بينكما؟. ها.. ها حنين الصقور أم حنين القدور!؟.**

- **الوجه: خذ** (يرمي من فتحة الجدار برزمة من الصحف).

- **الرجل: هل تريد أن أقرأ كل هذا مع فنجان قهوة؟!.**

- **الوجه: اقرأ ما تريد.**

- **الرجل: متبرماً مبعداً الرزمة عنه بقدمه: نفايات.**

- **الوجه: «احترنا يا قرعه».**

- **الرجل: كمان شكسبير على الريق؟**

- **الوجه: لماذا أيقظتني؟!. خلت أنك لن تفعل أبداً.**

- ينهض الرجل ويسير بضع خطوات وكمن يؤدي دوراً يقول: **أتعلم؟ أنا وببساطه غير مرتاح. أصبح القرد.. أقصد الإنسان أشبه بدولاب دراجة ينفخونه في النهار حتى يكاد يطق. وينفسونه في المساء ليستطيع النوم! تلك هي الحضارة اليوم.**

- **الوجه: هنا النفخ بالجملة.. والتنفيس بالمفرق يا باشا.**

- فتيات تحمل كل منهن دولاب دراجة غير منفوخ، وعلى ظهرها زجاجة هواء مضغوط كتب عليها فياغرا يدخلن من يمين الخشبة، ومن اليسار تدخل مجموعة فتيان يحمل كل منهم وردة جوري حمراء غير مفتحة وعلى ظهره زجاجة كتب عليها مايو غرا. الفتيات يرقصن وينشدن:

إذا دولابك كان متنفس حبة وحده ها.. ها.. ها

ومعاً ينفخن الإطارات ثم يخرجن وهن ينططن الدواليب بمرافقة مقطع من لحن أغنية أريد أن أكون في أمريكا (من فيلم قصة الحي الغربي).

والفتيان ينشدون مع الرقص:

يا هو يا هو يا هو....و يخرجون بمرافقة لحن مغادرة الفتيات.

- الوجه معلقاً على الاستعراض وبدهشة: **شو هاد يا قطب الثقافة؟.**

- **الصديقة: الولوج إلى الحداثة من بوابة الشكل.. خطوه إلى الوراء من أجل حفنة من التوقعات** (نسمع لحن من أجل حفنة من الدولارات).

- **الرجل: حسناً أنت تديرين عجلة، وأنا أدير أخرى.. مسموح!؟.**

- **الصديقة: عملنا معا شهوراً على تلك المشاهد، وها أنت.. ماذا تظن أنك فاعل؟**

- **الوجه: قل لي! لماذا أيقظتني؟.**

- يمسك الرجل بجهاز التحكم ويضغط عليه فينفتح الجدار أسفل الوجه وتظهر قامة الوجه كلها. يضغط الرجل ثانية على جهاز

التحكم فيتحرك الوجه مثل روبوط إلى أن يصبح قبالة الرجل الذي يضغط الجهاز من جديد فينتفض الروبوط ويصبح الوجه شخصاً طبيعياً.

- **الرجل**: **هل تريد قهوة؟** (تنهض الصديقة إلى الموقد وتبدأ بإعداد القهوة).

- **الوجه**: **هات من الأخير وبلا مقدمات!.**

- **الرجل**: **أريد أن نتحدث.**

- **الوجه**: **تقصد أنك تريد أن تتحدث.**

- **الرجل**: **لنتحدث عن الهندسة البيولوجية.**

- **الوجه**: **وتعتقد أن هذا ألطف من صحف الصباح على الريق؟.**

- **الرجل**: **أنت مثقف ومناضل سياسي ويفترض أن يثيرك هذا. اعتبره خيطاً أو شعره.**

- **وجه الأب**: أو حبل مشنقة.

- **الوجه**: ماذا تريد..؟ تفضل!.

- **الرجل**: شكل الإنسان لا يعجبني، ربما نستطيع إجراء بعض التعديلات عليه.

- **وجه الأم**: «يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» وينام.

- **الزوجة** من داخل القفص: دائماً ملك المفاجآت مثل جيري. مرة طبخت له ملوخية.. قليت الدجاج بعد أن سلقته

قليلا مع الزنجبيل وجوز الطيب وورق الغار وبعدين قليت الثوم مع الكزبرة الخضراء طبعاً (الرجل يضغط على جهاز التحكم فتسكت الزوجة).

- **الوجه**: شكل الإنسان إذا؟.

- **الرجل**: لماذا هذا التصميم المعقد؟. أكل وشرب وبول كذا مرة في اليوم (يضغط على جهاز التحكم فنسمع غناءً).

«مبارح أكلنا رجعنا جعنا.. لازم نأكل عن جديد»

- **الوجه يسحب كرسي الخيزران ويجلس عليه ومندهشا يقول**: وما المشكلة؟.

- **الرجل**: لو نجد حلا لقصة الأكل والشرب، ومتابعا بمرح كم ستتغير هذه الدنيا.. لا مطابخ ولا صرف صحي لا زراعة لا مطاعم ولا بخشيش (يضحك بمرح) فكرة عظيمة أليس كذلك؟، ويتابع: ثم لماذا الأرجل!؟. لا لزوم لها. أنظر (مشيراً إلى القفص) لقد أزهقت أرواح بالجملة من أجل أحذيتها. يا أخي بلا أحذية وبلا سلخ جلود ومدابغ.

- **الزوجة**: شو لمين عم يعمل العطار ريحه. ومقلدة صوت الرجل تتابع: حبيبتي دخيل حبة الفاصوليا العريضة تبعك بفوت منها على الإبداع بـــ (الرجل يضغط على الجهاز ثانية فتسكت).

- **الرجل يتابع**: واليدين.. لشو؟!.. منشان الناس تضرب بعضها؟، وطبعاً بلا البطن والصدر.

- **الأب**: (بسخرية) برافو تفوقت على كل أطباء القلبية.

- **الرجل**: تخيل الكرة الأرضية وقد أصبح شكل الإنسان هكذا!. البنايات الشوارع المعامل السيارات.. كلها ليس لها لزوم.

- **الوجه**: أكمل حتى نعرف شكل إنسانك الجديد.

- **الرجل**: كرة.. رأس كروي له عيون عددها قيد الدراسة.

- **الأب**: وعلى أي خازوق بدك تحط هذا الرأس؟. هل ستتركه ليسنقه الهواء والمطر؟.

- **الرجل**: سيكون قادراً على تحمل كل الظروف المناخية، ولن يحتاج إلى ما يستند إليه.

- **الوجه**: كيف؟.. هل ستركب له مروحة حوامة مثل كادجيت؟.

- **الرجل** (يضحك طرباً): بدأت تتخيل. سيتحرك بطاقة ما، لنقل أنها مستمدة من الجاذبية الكونية، وسيكون قادراً على الطيران في الفضاء، وعلى الغوص في أعماق البحار.

- تدخل من يمين الخشبة مجموعه من فتيات الإعلان مرتديات مايوهات سباحة وقناني هواء للغطس، ويحملن لافتة كتب

عليها: نايك للأبد، وتدخل من يسار الخشبة ثلاث مجموعات بزي مضيفات طائرة يحملن لافتات كتب عليها: الدكتور للطيران، طيران الخال، طيران البركة.

تنشد مجموعة الغطس:

حبيبي بيحب التش وعالبحر بيقلي مش..

وعا البحر بيعمل دروشه.. وبيفش.

ويخرجن مقهقهات وهن يقلن وبيفش (نسمع بعضاً من لحن أغنية أريد أن أكون في أمريكا).

وتنشد مجموعات المضيفات:

طير وفرقع يا بوشار حبيبي قلبه فــرقع مثل حبة البوشار.

ويخرجن مقهقهات... بووووشار.

تدخل مجموعة من الشبان بلباس شبه عسكري، قوة جسدية ولياقة بدنية عالية وينشدون بمرافقة مارش عسكري وهم يعبرون الخشبة:

طيري يا غواصة طيري يا أمل الأوطان. بدنا نحرر كل الجيري من جحشه وحصان.

تخرج المجموعة وتعود الخشبة للرجل وللوجه.

- **الرجل**: تصور حسب هذا النموذج كل واحد يستطيع أن يدور الدنيا كلها بحراً وبراً وجواً وأن يسافر إلى القمر.

- **صوت الأب**: على العصفورية هناك المطار.

- **الوجه**: كل طاقة الخيال هذه وتنسى محاسن النساء!؟.

- **الرجل بجدية**: ستتركز صفات المرأة الأنثوية في مكان واحد.. سنختصرالكركبة.

- **الوجه**: الكركبة.. مكان واحد.

- **الرجل يتابع**: شفتاها.. يكفي ذلك، أصلاً هما مفتاح المرأة وألطف ما فيها، أما تحت فله علاقة بالمعمل.

- **الأب**: إنشاء الله بدك تخلي لنا اللسان؟.

- **الرجل**: بالطبع لا.. لا لسان ولا أسنان.. لشو؟.

- **الزوجة**: بس الحكام يحبوا «اللسانات».

- **الوجه**: قل لي تلك الشغله كيف.. هل وجدتها يا..؟.

- **الرجل يخاطب الوجه**: قبله توصل إلى متعة كاملة، يعني بتدوخ.

- **الوجه**: كم مرة؟.

- **الرجل**: ماذا تقصد؟.

- **الوجه ساخراً**: ألا يروتيك يا رجل، بوابة الحداثة وبيرق الحرية. قصائد وروايات هذه الأيام تتباهى بتفاصيل الأعضاء الجنسية ويدوخ البطل والبطلة أربع خمس مرات في اليوم، وأنت تلغي كل ذلك!. هل تسعى لتحالف مع التيار الديني؟.

- **الرجل**: أنت ولد..ما فيه عورات، ما فيه تيار ديني حبيبي. سينقرض التيار الديني، ستزول كل أشكال الإرهاب، سيحل السلام مع الطبيعة ونودع الحروب.

- **الزوجة**: لقد احتفظت بالشخير.

- **الرجل بصوت عال**: التعذيب.. تصور مجتمعا بدون تعذيب.

- تدخل فتاة إعلان تحمل لافتة كتب عليها مس فيلد لاستقصاء المعلومات فيزيائيا، تتبعها فتيات مجموعة ثانية يحملن لافتات: دواليب، خطافات، سلالم، كراسي ألمانية، بساط الريح، مثقاب كهربائي، سيكس ثيروبي. ثم تدخل مجموعة إعلان ثالثة: دار الأبدية للباطن والظاهر: سواطير، بلطات، شفرات حلاقة، مغاطس باردة وساخنة، تجهيزات للأطفال.

- **الرجل**: أعرف أن إلغاء التعذيب صعب دفعة واحدة، فهو سيولد فراغاً كبيراً في المدرسة وفي الحياة الزوجية.

- **الزوجة تصفق ثم وبسخرية**: نخسر نحن قمصان النوم، وتأخذ أنت نوبل. طول عمرك حسود الله يخرب بيتك.

- **الرجل**: يسكتها بضغطة من جهاز التحكم.

- **الأب يسعل وهو يحدث نفسه**: نوبل!. يحرك عضلات وجهه كمن ستؤخذ له صوره.

- **الرجل**: كل ذلك سيختفي، وسيختفي الجوع والسرطان والمخابرات، وتزول معظم الفوارق بين البشر.

- **الوجه**: أهو نموذج جديد لسوبرمان؟.

- **الرجل بدهشة**: الكمال حلم كل عاقل.

- **الوجه**: حسن أنك اعترفت.

- **الرجل بجدية**: أنا أحاول الرجوع بنا جميعا إلى الجنة.

- **الزوجة**: ولن تنتظر يوم القيامة بالتأكيد.. فأنت دائماً على عجل.. يا دوابك تلحق. من كثرة الهموم يا ناري.

- **الوجه**: جنه.. جنة بدون تفاح وكرز يا..ستكون جهنم؟.

- تدخل أربع مجموعات من فتيات الإعلان.. تحمل كل منهن لوحة وبالتتابع:

كرز التقدم الكروي، تفاح الأصالة الحلال، تفاح القائد الصدفة، كرز الديمقراطية وبس. وينشدن:

تفاحي أبيض أحمر وكرزانتي مثل السكر تعا لعندي تعا دوق الكرز. ثم يخرجن ضاحكات.. تعا دوق الكرز (تكرار للحن في أمريكا).

- **الأب**: لقد حلمت بملك فرزقت بمصيبة.

- **الرجل ينظر إلى الأب وبسخرية**: حلمت بملك. ألا يحق لي أن أحلم بكرة.. مجرد كرة؟

- **الوجه**: حسناً.. ما هو الهدف من حلمك هذا غير العودة للجنة؟.
- **الأب**: واضح.. تعميم الجنون.
- **الرجل بسخرية واضحة**: لماذا يا أبي!؟. أحلامي.. ليست من أجل مصلحة شخصية بل لمصلحة الوطن الحبيب الذي زرعت فينا عشقه بالطول وبالعرض.
- **الأب**: بربك ما هي غايتك؟.
- **الرجل وبغضب شديد يقترب من ثورة داخلية**: أنا ما دفعتني دائماً لأكونه. باحثاً عن حل للقلق والعجز، قبل النكبة وبعد، قبل سقوط بغداد وبعد، قبل صفين وبعد، ومقلداً صوت الأب وكأن صخرة على صدره: «شو منعمل»؟. أجل لقد فكرت ليل نهار بالصخرة التي تركت صدر بلال لتجثم فوق صدرك.
- **الأم**: الله يبارك فيك يا حبيبي.
- **الرجل**: الحل ما هو الحل، مرت حياتي من أمامي وكأنها حياة شخص آخر وأنا أفكر بالحل، سرق الحل حياتي وأنت تسخر مني ومنه.
- الوجه يصفق ساخراً والأب يقهقه جزلاً.
- **الرجل وكمن يخطب في الجمهور**: الحل.. ما هو الحل!، أجل هنا مربط الفرس.

- **الأب**: وهل وجدت الرسن؟.

- **الرجل**: أجل وجدتها. وجدت أنه كي نعبر نحن العرب إلى الديمقراطية لا بد لنا من تحسين لياقتنا البدنية.

- **الصديقة**: والحل هو بالتطور إلى كرات!.

- **الرجل**: الطرق الأخرى غير سالكة.

- **الوجه**: وأين ستسجل براءة اختراعك هذا.

- **الأب**: حيث هو في متشفى المجانين.

- **الأم**: حرام عليك خليه مبسوط.

- **الرجل**: يمسك بجهاز التحكم، ويخاطب الأب: أنت أنجبتني في مشفى المجانين هذا في تربة الرمال المتحركة هذه. طوال حياتك لم تقدم لي شيئاً واضحاً راسخاً أسند ظهري إليه.

- **الأب**: كذاب. أعطيتك كلمة السر.. المفتاح:

- **الرجل**: «الصحة من الله والمال من السلطان». وبغضب؛ الصحة والمال، وجها ثقافتك؛ يشتم أحدهما الظلم ويسبح الآخر بحمد الظالم. تقبل يد السراج بعين، وتبكي بالأخرى على فرج الله الحلو. تلعن كل حروب الخليج وتتحالف مع من شنوها. تبايع ابن تيميه وتبجل ابن

رشد. تدفع الزكاة وتأكل كل مال. نصف قرن لأكتشف ثقافة الزئبق تلك. نصف قرن لأكتشف أنك تقدس أشياء كثيرة ولا تؤمن إلا برائحة شهوتك.

- **تصرخ الزوجة وهي تخرج من القفص تجر أثقالها**: وأنت.. أنت من أنت؟. أنت مثله. لقد ادعيت يوما أن الريح التي تخرج من مؤخرتك ليس لها رائحة!.

- **الرجل يسكتها بضغطه ويتابع مجهدا**: الله والسلطان.. أنا لم أجد مادة مناسبة لأصنع منها وعاءاً قادراً على احتوائهما معاً. فبقيا معلقين في الفضاء كطائرين طنانين. يضع يديه على أذنيه كمن يطرد ضجيجا.

- **الأب**: أنت هو الوعاء. كنت دائما تعرف ذلك، لكنك جبنت.

- **الرجل وبأقصى درجات الغضب**: وماذا عن.. ماذا عن!؟. هذا وعاء لتفتيت حضارة.

- **الأب**: قد يأتي يوم تشفى فيه من أوهامك هذه وتضع حداً لضعفك ولهزائمك.

- **الرجل**: أنت لا تهزم.. وتلك أحجية تليق بإقليدس، وقد دوختني بها. لم تكن تكذب حين كنت تدعي النصر إثر كل هزيمة. أبدا كان في عبك نصر، فقد تمكنت من هزيمتي دائما، ومجدك الوحيد هو ذلي (ينفجر باكيا)

يخرج من البكاء ويتابع: وضعتني في المنطقة الفاصلة بين كل تلك الجيوش المتحاربة وتمتعت بمراقبة خوفي، بتوثيق فشلي وتسويق فصوله، تحالفت مع كل مرتزقة التاريخ من أجل ذلك.

- **الزوجة**: وأنت ستتحالف مع من؟.

- **يضغط الرجل على الجهاز فيسكت الجميع، ويتحرك الوجه مثل الروبوط إلى الحائط وهو يقول**: لطالما حسبتك تحلم بلعب دور هاملت.. هذا ليس هاملت.

تعتم الصالة تدريجيا مع وقع خطوات الرجل وهو يتجه إلى السرير بتثاقل. تخرج الصديقة من خلف القفص وتتجه مترددة نحو السرير تقف للحظة بجواره وكمن يفكر بالعودة وتظلم الخشبة ونحن سنسمع الحوار بينهما فقط.

- **صوت الرجل**: بعيداً عن.. هل لي أن أسمع رأيك؟.

- **صوت الصديقة** (بحياد وحذر).. عظيم.

- **صوت الرجل**: هذا قول جاف.. أحاسيس مشاعر.. تحرري من هذه الملابس فالحرية كل لا يتجزأ.

- **نسمع صوت ملابس تنزع، وصوت الصديقة**: حل جميل.. لا جلي ولا طبخ.

كنت أحسبك.. (تصمت لبرهة فتبدو كمن دخل في تأمل عميق).. ثم:

حسناً تذكرت وأنا أسمع واحدة من محاضراتك في الجامعة، تحدثت يومها عن الذكورة.. كيف حملها الرجل الشرقي أثقالاً كبيرة.

- تنهض الصديقة من السرير وتمشي، ومع وقع خطواتها ينبعث ضوء خافت يلاحقها لتبدو أقرب إلى الظل وهي ترتدي نفس القميص الذي انسدل وغطي القسم العلوي من فخذيها. ثم تقف لتقول مقلدة صوته:

- «هل ابتلعت ذكورتنا الطعم فحددت فضاء أنوثتنا بحوض ونهدين»؟!. هل كانت كيلوباترة نهدا شبقا أم نافذة شرقية لا مثيل لها في خزائن روما».

- **الرجل**: يصفق.. وماذا عن الرجولة؟.

- **الصديقة مقلدة الرجل**: «حملها هم السلطة، فأوصلها إلى العنانه».

- **الرجل يهز رأسه مستغرباً**: العنانه!.

- **الصديقة**: للرجولة وليس للذكورة.. لقد أكدت انفصالهما، وفي تلك اللحظة وهبتك نفسي سماعاً.

- **صوت الرجل يضحك منتشيا وكمن يخاطب نفسه:**

كم قلت أشياءً عظيمة وبدون مقابل. ثم وبحماس متقد: وماذا عن كراتي؟.

- **الصديقة**: بصراحة أحسستُ أنني أمام شخص لا أعرفه.. بعيداً عن ذلك يبدو أنك وجدت حلاً لمشكلة الانتصاب.. (وبصوت جهور) كم عانت النساء.

- **الرجل بحرج وبنحنحة يقول**: أنت مثله (مشيراً للوجه) تفضلين فرويد لتفسير ملوحة ماء البحر.

- **الصديقة كمن يحدث نفسه همسا**: أخذت نصيبي. ثم وبسرعة تتابع مقلدة صوت الرجل: «أمسكت الحضارة الرجل من خصيتيه والمرأة من ثدييها، ويجب أن نناضل لتحريرهما معاً».

- **الرجل**: قلت ذلك أيضاً!؟.

- **الصديقة**: أجل.

- **الرجل يضرب السرير بقبضته ويأخذ نفساً عميقاً ويغادر السرير وفجأة يصرخ**:

أي مكان أرتقي.. يتوقف فجأة كمن لسع وبصوت داخلي خافت عميق: لا أحد يعطس مجاناً هذه الأيام. حصالات.. الجميع أجل الجميع حصالات مصالح، وأنا لا أفتأ ألقي بدرري إلى الأرانب والخنازير!. يجب أن

أتوقف عن احتقار المكان، بعضه على الأقل.. فلم يتبق الكثير منه. وكمن يستيقظ من استرساله يتلفت متنبها لوجود الصديقة ويشير إليها برأسه أن تتابع.

- **الصديقة**: أنا لا أفهم لماذا لم نتابع العمل في تلك المسرحية. كنت معجباً بفكرة الأبراج بقنصها لخمائر التطور في المجتمع، بتحالفها على إبقاء المجتمع حيث هو منذ قرون، ومقلدة صوته «إن يكن الراعي عدو الغنم»، اللازمة التي أحببت ورددتها كثيراً في هجاء لا ينقطع لتلك الأبراج، وأحب جميع أفراد الفرقة العمل. ماذا حصل؟. تعبت؟. أم أصبت بسيدا النجومية.. خشيت أن يدركك الموت؟. أنت تدمر شراكتنا.

- **الرجل**: لمرة واحدة، لمرة واحدة وأخيرة سأقول شيئا لجهالتك: تغير الكون والخيارات باتت جد محدودة، ونحن عالقون في وحل مثل أذن لا تسمع في رأس حمار جرب. يجب أن نقدم شيئا لتنين الحضارة السائدة قبل فوات الأوان.. أضحية ما..لقد قدم أسلافنا القرابين.

- **الصديقة**: اللعبة الأزلية؛ قرابين ومنقذين!؟. يا لخيبتي!.

- **الرجل وبضيق**: لن تفهمين مهما حاولت.. عموما هذا صعب على امرأة.

- **الصديقة**: عجيب هو هذا اليسار الذي يصر على أن يصنع درجات سلمه من جهل الآخرين!. أنا أعتبر قطتي تفهم وهي كذلك.

- **الرجل متبرماً وخائفاً منها للمرة الأولى**: إنها السياسة، وفي مكان عميق لا يفك الرموز فيه إلا الطهاة الكبار. دعي الأمر وقري عينا.

- **الصديقة**: السياسة أيها المفكر!. وأقر عينا. أنا خائفة من برجك الكروي، من سجنك الجديد. ماذا سيحل بنا (تبكي)؟.

- **الرجل** : كل هذا الفضاء من الحرية ترينه سجناً. إن العطار لن يصلح ما أفسده الدهر.

- **الصديقة**: أنت تكذب وهذا سياسة، وتكذب ثانية وهذه سياسة عميقة، وتكذب ثالثة فتصبح عقيدة.

- **الرجل بغضب**: أنا أكره البكاء.. يغطي رأسه باللحاف، ويطفئ النور بجهاز التحكم وتعتم الخشبة.

الرجل نائم وضوء قمر يضيء الخشبة والصديقة تتحرك وبحالة تأمل عميق ثم وكأنها تقول كلماتها الأخيرة: البرد.. إنه البرد.. برد قديم يسكن الروح.. ربما يسكن روح الأمة كلها.. أنا خائفة من البرد. إذا برد القلب فلن يدفئ العظام كل حطب العالم.

تمسك مكنسة وتبدأ التنظيف. بعد فترة تلتفت نحو الصالة.. تحدق مليا وثمة عدوانية واضحة في نظراتها، ربما هي عدوانية نحو الداخل والخارج في آن معا وتقول:

قرأت كتاباً عن بحيرة يقصدها السائحون، يصطادون السمك من على ظهر زورق ويرمونه مباشرة في المقلاة الحامية، وحصل أن قفزت سمكة من الزيت لتعود إلى البحيرة. في تلك البحيرة وبعد بضع سنين ظهرت سلالة جديدة من سمك مقوس لا يصلح للمقلاة.

تتوجه إلى القفص وتعتم الخشبة.

* * *

الفصل الثاني

يتسلل ضوء النهار إلى الخشبة يتحرك الرجل في فراشه وينهض متثاقلا ممسكا بجهاز التحكم، يضغط عليه فتسدل ستائر سوداء فوق الصور.. ينهض ويذهب للمغسلة.

الصديقة تحضر القهوة وتهم بالعودة إلى مكانها فيأتيها صوته:

هاتي القهوة.

- **الصديقة** تحمل القهوة وتضعها على المنضدة الصغيرة.

- **الرجل**: سمعت صوتا مبهما؟. ماذا كنت تفعلين في الليل؟.

- **الصديقة** وفي قامتها بعض التقوس الذي سيلازمها طويلا: تصفحت كتابا.

- **الرجل**: لقد فجرت قنبلة يوم أمس.. سيذهب دويها بعيدا، وثمة أشخاص مهمون من فوق.. فوق.. سيأتون لزيارتي (يحدث نفسه هامساً): سيأتون كما أتاني أناس من تحت التحت باحثين عن طريق لفوق فوق. وعليك أن تتحركي بخفة وبقامة هومو إريكتوس (يسكت كمن

أنهى حديثه ثم يتابع): للأسف أنت لا تعرفين الفرق بين المعري وكلاوزوفيتس. باتت الجامعات أكبر مستوطنة للجهل في هذه البلاد. مهم أن تعي أن الدور الآن ليس للمعري وستخسرين كل شيء إن ابتعدت عن مسرح الواقع، كل شيء. كنت نكرة وستعودين نكرة من دوني.

- **الصديقة** (تشبه عصفوراً يرى باشقاً) تتحرك لتغادر وتسمعه يقول: تزيني ضعي بعض المساحيق.

الرجل يصب القهوة ويمسك جهاز التحكم ويضغط عليه فترتفع الستائر التي تحجب صور الحائط وتظهر الوجوه الثلاثة وفي نفس الوقت تدخل فتيات الإعلان: لوحة إعلان كتب عليها مركز العولمة للتجميل.. سوبر غرين لوك، ولوحة ثانية؛ مركز الإيزو للتجميل.. نهود وأرداف ومود على النورم، ولوحة ثالثة: مركز تجميل القائد.. نحن فقط من يعطيك شهادة دكتوراه في الجمال، ولوحة رابعة: تجمع الصداقة المدنية للجمال.. الجميع يخدعونك ونحن فقط من!، ولوحة خامسة: فتيات يلبسن الأسود وتظهر حدقتا العين فقط: حجابك هو الجميل.. هو الأجمل.

تقدم الفتيات ذلك كمقطع من استعراض غنائي راقص (بورنو كليب) والرجل يرشف القهوة.

- **وجه الأم**: صبا (يضغط الرجل على الجهاز فيختفي الصوت) بقية الوجوه تلقي «تحية الصباح إيماءً».. يهز الرجل رأسه دلالة على الرضا ويضغط على الجهاز قائلا: أجل هكذا.
- **الصديقة** تتقدم من الرجل وتقول: هناك رجل بالباب.
- **الرجل** باهتمام وشغف واضحين: من هو؟.
- **الصديقة**: قال بين المزاح والجد أنه ربما يكون الحجاج.
- **الرجل** يأخذ شكل قوس لكنه يتماسك ويستعيد استقامته وهو يخطو نحو الباب المفتوح ويقول بترحاب: تفضل.. تفضل.
- **يدخل رجل** بلباس قائد أوركسترا يضع بابيونة (ربطة عنق) بيضاء وقرنفلة حمراء، ويفيض وجهه راحة واسترخاء.
- **الرجل**: تفضل.. تفضل ويدعوه للجلوس على المقعد الوثير ويجلس هو على كرسي الخيزران وبصعوبة بالغة يقول: أنت؟.
- أنا.
- **الصديقة**: أين العمامة؟.
- **لم تعد لي حاجة بها، وضاحكا يتابع**: مكانها أصبح في القلوب.

- والسيف والرؤوس؟ (ممسكة رأسها بيديها كمن يدافع عنها).

- **يضحك «لحجاج» ثانية باسترخاء ويقول**: هل تصدقين كل ما يقال؛ لقد بالغ بعض المؤرخين، ولويت عنق الحقيقة على يد بعضهم الأخر. أنا لم أهوى الرؤوس يوماً وفي حياتي كلها لم أتذوق النخاعات رغم تفنن الطهاة في تقديمها، وأعتقد أن أسوأ أنواع السموم قد توجد فيها. رحم الله ابن خلدون ووقانا الله من الحسد قل أعوز برب الفلق صدق الله العظيم.

- **الصديقة**: عفواً.. وتلك أل أينعت.

- «**الحجاج**»: أينعت..ها كلا ليست الرأس؛ ما رآه الحجاج في الشخص كان رقبته، فهي مفتاح حياته، عبرها ينسكب فيض الرأس للجسد حاضنة الروح، وعبرها تصعد مطالب الجسد الفاني للرأس.. مثل كابلات الكومبيوتر، ويمكن للعين وللأنامل الخبيرة المدربة أن تقرأ حال صاحبها منها؛ الخوف والشجاعة، اليأس والأمل، الفقر والغنى، الصحة والمرض.. ثمة رقبة توحي بأنها امتداد لرأس صاحبها، وأخرى لبطن حاملها. ثمة رقبة ذكية وأخرى شرسة. البعض تثيرهم نهود النساء، الأرداف وربما الشفاه. أنا مثله أهوى الرقبة (يلامس بأصابعه رقبة الصديقة) نقطة التقاء العقل بالغريزة. هناك أقطف

الأنوثة أطال شهوتها وعنفوانها معا. (وكمن يريد وضع حد لتأمله) على العموم ولكي لا تزعلي فقد أرسل هارون الرشيد حفيد سياقه مسرور لمرافقتي وهو بالباب. وفجأة يوجه الكلام للرجل: من هذه (مشيراً إلى الصديقة) خادمتك؟.

- **الرجل**: تابعتي هند (الصديقة تنهض وتقف مقوسة).
- «**الحجاج**»: لقد ذهبت هند برقاب كثيرة.. وبقلوب كثيرة.
- **الصديقة**: مسرور بالباب!.. هل.. هل تصالحتم؟.
- «**الحجاج**» ضاحكاً بجذل.. بل اتحدنا، وربما من الأفضل أن نقول اندمجنا.

صوت رنين هاتف محمول.. «الحجاج» يتناول الموبايل (الصديقة وهي ما زالت شبه مقوسة تضع القهوة على المنضدة وتعود لمكانها) ويقول: نعم بعد نصف ساعة ويغلق الموبايل ويضعه في جيبه.

- **يدخل شاب وفتاة يؤديان إعلان للموبايل**:

ترتدي الفتاة جلابية رسم عليها من الأمام ومن الخلف شكل هاتف محمول، والجلابية من مود يل أه ونصف. ترقص الفتاة وتغني:

يا تدلعني.. وتاخد عيني كمان.

- «**الحجاج**» **مخاطباً الرجل**:

أنا ذاهب من هنا لجلسة حوار حول حق اللمس.. بعض الباعة لا يسمحون باللمس، أنت تعرف حساسية أمر كهذا في البطيخ مثلا.. سأدافع بضراوة عن هذا الحق. يجب أن نتحسس ما في داخل البطيخة. قد نعمل معا في المستقبل في هذا المجال.

- **الصديقة**: وماذا تعمل؟.

- لا شيء مهم.. مدير فخري لنادي ولبعض الجمعيات الخيرية ويحصل أن يستشيرني هذا أو ذاك.

- **الرجل**: جمعيات خيرية؟.

- «**الحجاج**»: أجل.. هناك فقراء ونحن نمد يد المساعدة قدر استطاعتنا.

- **الوجه**: رحم الله أبا ذر.

- «**الحجاج**»: لماذا؟ لماذا رحم؟.. خسارة أن يموت شخص مثله، إنه حي يرزق.

- **الوجه مذهولاً**: حيا يرزق!؟.

- «**الحجاج**»: لقد ابتلعته.. أجل إنه هنا (يشير إلى بطنه) وما زال حيا ويخدمني. ابتلعته هو والحجاج.

- الأم تشهق، وكذلك الأب والزوجة.. و«الحجاج» يلتفت إلى الصديقة قائلا: لقد تعلمت أنت من تلك البحيرة، وأنا أيضا أتعلم (الصديقة والرجل يتقوسان).

- **الأم**: في بطنك!! كيف!؟ أنت لست امرأة.

- «**الحجاج**» (**للصديقة**): منذ ملايين السنين واللعبة في بحيرة الحياة هي من يفوز بأكل الأخر. إلى هناك تعود جذورنا أيتها السمكة المقوسة.

- **وجه الأم يرتجف وتقول**: ماما دخيلك اكبس الجهاز لأنام.

- **الرجل يضغط على الجهاز، والوجه يهمس كمن يتحدث مذكراً بقول سابق**: ربما تكون الحجاج (تعود صورة الأم لتظهر في مكانها).

- «**الحجاج**» **للوجه**: انتقيت واحداً من أسمائي لأخاطب به، فلابد أن تراني لتعرفني. ويتابع مخاطباً الصديقة: في زمن استعر فيه الجوع.. صنعت خلية ذكية الطعام لنفسها، لكن خلية أذكى ابتلعتها، لم تهضمها بل أمدتها بما يلزم لتلك الصناعة.

- **الصديقة**: العبودية الأولى.

- «**الحجاج**» **للصديقة**: أنا أراها الشطارة الأولى.. لماذا التكشير وما العيب في ذلك؟، ولماذا ترين نفسك ودائماً مكان الخلية المبلوعة؟. تعلمي من الطبيعة. مثلي، فأنا أعمل على مقلاة تناسب السمك المقوس.

- **تدخل فتيات الإعلان**: تيفال البركة.. مقلاة لكل زمان ومكان. تيفال العولمة.. مقلاة للجميع. التيفال المدني الديمقراطي.. عندنا شوايات. تيفال القائد.. مقلاة إلى الأبد.

- «**الحجاج**» **يلتفت (مسروراً بالإعلان) نحو الرجل ويتابع**: أنا أعرف أنك صارعت كثيراً من أجل هذه اللحظة فلا تتراجع، وينهض ومودعاً: نادياً يضم النخبة وأنت مدعوا لإلقاء محاضرة عن الجلوبلايزيشن الكروي، وقبل المحاضرة سيفتتح معرض للتعريف بك ونريد موافقتك المسبقة على تقديمك (يشير بيده فتدخل لوحات كبيره عليها كلها صورة الرجل أو رسما له وشعره ملون بالأحمر والبنفسجي والأبيض والأسود والأخضر وعبارات: المؤرخ العلامة، الروائي العظيم، الشاعر الكبير، النحات والرسام المبدع، الموسيقي الذي لن يتكرر، المناضل في سبيل الحرية.

- «**الحجاج**»: موافق؟.

- **الرجل ينظر إلى الأب** الذي لا يستطيع إخفاء سروره وحسده معاً، و«الحجاج» يخرج مسرعاً.

- **الرجل يمسك الجهاز**، يذهب بخطوات سريعة إلى فراشه، ويضغط فيتلاشى ضوء الخشبة رويداً - رويداً.

- تنهض الصديقة وتتقدم لتقف قبل السرير بخطوه وغاضبة مهانة لتقول:

لماذا قدمتني له كخادم؟.

- الرجل يجيب بنظرة قاسية فقط.

- **الصديقة**: كان من الأفضل أن تقدمني: عبدتي هند.

- **الرجل بكراهية مبطنه**: زلة لسان.

- **الصديقة تبتعد قليلاً عن السرير**: يا لغبائي!، صوت عميق قال لي أن ذلك الغضب والصراخ هما مخاض. كنت تأيض لتتحول إلى نسخة من ذلك الحجاج، وبكراتك تلك توجت عبقريتك بتحرير الرجل من خصيتيه والمرأة من ثديها. لقد تفوقت على جميع الطغاة أيها المناضل!؟.

- **الرجل بغضب وبكراهيةً واضحةً**: أيتها الغبية الجاحدة، أنت لا تفهمين حول ماذا يدور الحديث. عبده خادمه، لا تزعجيني بعد اليوم.

تتراجع بخطوات مدحورة إلى أن ترتطم بالقفص، ويتلاشى الضوء.

- **الصديقة وحدها مستيقظةً (الرجل في فراشه) والضوء باهت وكمن يخاطب نفسه تقول**: قلت لنفسي أخيراً وجدت رجلاً، وسأحترم ذكورته التي لهثت كثيراً وراء الأنثى أشرت بيدي إلى الفراش أدعوه إليه سيداً بل أميراً. نثرت ماء الأنوثة فوق فراشه، وماء الأنوثة لا يلملم بعد هدره. لن تكوني بعد امرأة تنتظر بعلا ويربطها بالطمي حبل سره. ستسمعين صوتاً عميقاً أنى ذهبت يقول أنك عاهر(تجثو على ركبتيها). كنت عارية أمام ذلك الحجاج وعندما لمس رقبتي (تتلمس رقبتها) غاص قلبي وكدت أفعلها، انتظرت كتفا يداً تسندني (تبكي). يا لغبائي من يسند خادماً؟. جلوبولايزيشن (تنطقها وكأن كل حرف منها هو لغم قد ينفجر في فمها).
- **فجأة صوت عميق لكمان ثم صوت لرجل من زاوية الخشبة:**

يحلـــق الخـــوف كنـــسر وتجـــثم الخليقـــة كأرنـــب

يحلـــق الخـــوف كنـــسر وتجـــثم الخليقـــة كأرنـــب

- تلتفت الصديقة نحو مصدر الصوت وكذلك تفعل الإضاءة الباهتة فنرى رجلا يرتدي سروالاً وقميصاً.
- **الصديقة**: من أنت؟.

- أنت تعرفينني.

- **الصديقة وبحدة**: من أنت؟.

- أنا من تحت.. تحت.

- **الصديقة:** وتبحث عن طريق لفوق فوق.

- بل عن طريق آخر

- **الصديقة:** لا أفهم.

- أنا الحيوان.

- **الصديقة:** الحيوان.. اقتربت نهايتي أنا أحس بذلك!؟.

- لقد كنت حيوانا (بصوت هادئ رخيم) وأبحث عما فقدت.

- **الصديقة:** ولماذا تتسلل كلص مطارد؟.

- أنا فعلاً مطارد.

- **الصديقة:** ممن؟.

- كل أجهزة الأمن تطاردني ناهيك عن كل من أراد الثراء والسلطة.

- **الصديقة:** ولماذا.. ماذا فعلت؟.

- كنت حراً في يوم ما!. أنا أعمر من ذلك الحجاج!.

- **الصديقة:** لأنك كنت حراً؟.

- أجل.. أنا.. ربما أحمل جينات الحرية.

- **الصديقة:** حراً.. حراً.. وماذا تعني هذه الكلمة؟.

- لم أعد واثقاً أنني أعرف الجواب.

- **الصديقة:** لكنك تقولها!.

- بت أقول كلمات كثيرة لا أعرف معناها.

- **الصديقة تبدي انزعاجها من الجواب وتقول:** أنت تكذب إذا.

- في غفلة من الضوء تعرت شجرة اللوز وارتدت فستانك. أنا من قال ذلك.

- **الصديقة:** أنت الشاعر إذن؟.

- ربما كلمة حرية.. تصفني.. تصور حالتي يوم كنت أستخدم كلمات أحس وبكثافة ماذا تعني.

- **الصديقة:** بدقة.. تقصد اليقين؟.

- لا.. لم تكن فكرة اليقين قد ولدت بعد، فلا حاجة للحرية بها.

- **الصديقة:** معرفة بدون يقين؟.

- القطة تعرف ماذا تريد، اليقين غباء لا حاجة لها به.

- **الصديقة:** لكم حسدت القطط على استرخائها.

- وأين تظنين أنها تعلمت ذلك؟، في هارفارد!؟. هل تخيلت نفسك قطة في يوماً ما؟.

- **الصديقة:** أنا.. أنا لا أعرف الاسترخاء.. حتى في النوم يظل جسدي متوتراً.. كم جفاني النوم.. مرة جلست على الشرفة أقارن أيهما أشد قتامه الليل أم اكتئابي؟.

بشر الفجر بقدومه.. وليلي لم يتزحزح.. مع أول تدفقات الضوء صدح صوت شحرور عذباً فرحاً جميلاً قوياً اجتاح جسدي وهز كآبتي فبكيت كغيمه استوائية حتى الصباح التالي، ورأيته.. هناك فوق غصن يستقبل الصباح.. لم يأكل، لم يشرب، فتح عينيه وغنى. يومها أحسست أنني ولدت معلقة إلى حفرة. ومنذ ولادتي وكل يوم أحاول ردمها وهي تكبر.

- **يقترب من الصديقة ويقول:** ما أجملك.
- **الصديقة:** أرجوك لا تقلها. تتحرك كمن يراجع تاريخ حياته، ثم تقول: الرجل لا يضاجع روح المرأة.. بل حسنها.
- أنت جميلة.
- **الصديقة:** لو كنت جميلة لقدمني إليه كعشيقة أو كصديقة.
- هل السمكة المقوسة قبيحة!؟.
- **الصديقة (تفكر بعمق):** ما هذا السؤال!؟.
- **يتابع:** ربما هي قبيحة من وجهة نظر المقلاة. لكن هل رأتها البحيرة كذلك!؟. وماذا عنك؟.
- **الصديقة:** وما علاقة كيف أبدو بذلك؟.
- لم يقل أحد أنك لست جميلةً، هل الخادم حكماً غير جميلة؟. هل ترينها كذلك، هل ترين السمكة المقوسة سمكة متمردة قبيحة.

- **الصديقة:** الأنثى تلتقط إشارات تترجمها في مكان ما بداخلها إلى حلوة وبشعة، يحبني ولا يحبني، أحاسيس مشاعر.. العاطفة تأتي أولا في عالم الأنوثة.. تلوين للوحة وجوانية. ذلك هو الأساس الذي عليه يعمل عقلها.

- حسناً!!.

- **الصديقة:** صحيح أنك حيوان.. حيوان ذكر..السمكة المتمردة ليست قبيحة، والخادم قد تكون فاتنة. لكن لو كنت جميلة لما قدمني كخادم.. فهمت (تبكي).

- أنت رفضت أشياء كثيرة.. ربما لو قبلت لجاء التقديم مختلفاً.. هكذا هي الحرب.

- **الصديقة:** هذا منطق وأنا لست منطقاً أو فهماً. لقد أصابني، أصاب الشحرور في داخلي. أدماه وربما قتله. أتعرف ماذا تصبح الأنثى عندما يموت شحرورها!؟. من الأفضل لك أن لا تعرف أبدا.

- أنا أعرف أنه ما يزال حياً.

- **الصديقة:** أرجوك توقف.

- لماذا.. كي لا يستيقظ؟. هل تطلقين عليه أيضا بين حين وآخر؟.

- **الصديقة:** وأين سيغني إذا استيقظ. لا غابه لا حديقة لا شجرة لا عرق أخضر؟.

- قد «تنبت الورق الخضر» إذا غنى.

- **الصديقة:** لقد كان هنا وسيقبضون عليك.

- أتيت من أجلك.

- **الصديقة:** من أجلي!؟.

- خشيت أن يفتر جمالك.

- **الصديقة:** أنا!!.

- كنت يائسا أكاد أفقد ما تبقى من شجاعتي.

- **الصديقة:** ويلي.. أنا؟.

- أجل أنت.. أنت ثغر عبلة ونسيم يحمل طيف العامرية.

- **الصديقة:** تندفع إليه كأنها تريد معانقته وتتوقف قبل أن تفعل. جئت من أجلي إذا؟.

- وذلك الحجاج جاء من أجلك أيضاً.

- **الصديقة:** وهل خادم بهذه الأهمية؟. أكاد أجن.

- غدا سيعود ويجب أن تكوني مستعدة له.

- **الصديقة:** تخاطر من أجلي! لكن من أين لي بذلك التنين!؟.

- من أين لك أن تعرفي إذا لم تواجهينه.

- **الصديقة كمن يرثي نفسه:**

كل مساء تفرش الثورة بيوت الفقراء حقول أزاهير كل نهار تتحول الحقول إلى مقابر.

- لكن الحفرة تتسع.

- **الصديقة:** وهل تعرف طريقاً لردمها!؟.

- أنت تعرفين ما يجعلها تكبر.

- **الصديقة:** قدمت نفسي له كما تقدم الفراشة نفسها للضوء.. لو قدمني له كعبده.. تبك.. يا ليته فعل.

- يهينك التقديم كخادم.. ويسرك كعبده.

- **الصديقة:** يلذ لي أن أكون عبده لرجل أحبه.

- العبودية فضاء للحب!؟.

- **الصديقة:** أنت لن تستطيع فهم هذا فأنت لست امرأة.

- العبودية أنوثة إذا!؟.

- **الصديقة:** ثمة متعة طاغية في الحضيض في الاستسلام. شيء يشبه الهبوط السريع من مكان شاهق.. خوف طاغ ومتعة هائلة في آن معاً.

- ملامسة الموت.. أهذا ما ترمين إليه؟.

- **الصديقة:** ألا تعتقد أن السلحفاة تتوق للخلاص من درعها؟، أعتقد أنها تتمنى أن تجرب.

- أهذا ما تفعلينه؟.

- كانت تلك الطريقة الوحيدة كي أقترب من حقيقته.

- من حقيقته.. أم من السلطة؟.

- **الصديقة:** ساعدته على افتراسي.. على تحطيم جدار اثر جدار. عندما تصبح في القاع مجرداً من القوة. يقتنع الآخر أنك بت عبداً له.. فيتعرى من دروعه مطمئناً وواثقاً من جبروته.. ولن تعرف عند ذلك من هو عبد للأخر.

- تداول رائع للسلطة!؟.

- **الصديقة:** إنه التداول الوحيد المتاح في هذا المشرق. هات قل لي.. لماذا لا يغني الإنسان كالشحرور!؟.

- يصمت متأملاً، فتعيد هي توجيه السؤال ووجهها إلى الصالة.

- في الكهوف العميقة.. كانت له شهية للرسم، كان يضحك وهو يضاجع.

- **الصديقة:** وماذا بعد.

- ربما لو اكتشف الشحرور مانعاً للحمل لغداً لا يملك الوقت للغناءً.

- **الصديقة:** نحن نهدر الكثير منه.

- الإنسان كموج البحر.

- **الصديقة:** كان مقاس الحفرة ما يزال مناسبا للعيش قبل مجيء الحجاج وقدومك أنت.

- ما هو الجديد الذي أضافه قدومنا؟.

- **الصديقة:** هولا يسمح بالعبودية كخيار، وأنت!.

- أنا ماذا؟.

- **الصديقة:** تذكرني بقيس: لو أن واش في اليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا. ربما حمل هو الآخر جينات مشبوهة جعلته مطلوبا مثلك!؟.

- جينات الحب وجينات الحرية. ربما هما جني واحد.

- **الصديقة:** الحب في ثقافتنا جنون يطارده الصبيان في الحارات كما تطارد الكلاب طريدة في الدغل. والحرية ردة.

- أنت شابة، والباب مشرع.

- **الصديقة:** إن حفرتي أعمق من قدرتي على الهروب.

- لماذا الهروب؟. إن ألف هزيمة لا تعطي الحق بنصر واحد.

- **الصديقة:** كلامك أشد غموضا من كلام الحجاج.

- ذلك لأنك تخافين.

- **الصديقة:** أخاف (تصرخ بتهكم واضح).. اكتشاف جميل منك!؟.

- وتخشين أن تخسري خوفك.

- **الصديقة:** ولماذا بربك؟.

- ربما إذا فعلت.. ربما ترين نفسك جميلة.. وهذا مرعب.

- **الصديقة:** مرعب؟.

- أجل.. قد يصدح الشحرور.

- **الصديقة:** وأصبح مثلك.. أتطور إلى حيوان.

- رب ضارة نافعة.. قد تلتقين بما يليق بك.

- **الصديقة:** وهل ثمة من بعل؟.

- جاء الحجاج كي لا ترى نفسك جميلة؟.

- هذه من عندك.

- لقد تحدث عن ذلك.

- **الصديقة:** أحدكما على الأقل يكذب، ربما كنت هو متنكراً؟.

- أكان على ابن الملوح أن يبتلع ليلى ويضعها في واحد من جيوبه؟.

- **الصديقة:** أنا أكره البالع والمبلوع.

- وهذا ما يخشاه، إذ ربما تنقذين ذلك التعيس (يشير إلى الرجل).

- **الصديقة:** من؟؟ ذكر الأفاعي الذي يطلق رائحة الأنثى!، رائد الحرية الذي يرغب الآن بمضاجعة الحجاج؟.

- ماذا كان موضوع تلك المسرحية؟.

- **الصديقة:** كنا شلة تشاركنا التأليف والتمثيل والديكور والملابس والتفكير في عمل نقدمه وكان هو الأستاذ

والصديق والمبدع والمخرج. وكان سؤال عميق في داخلنا نجاهد لإضاءته: هل كلنا طغاة؟.

- حسنا.. وتشير بيدها كمن يعطي أمراً البدء. فيظهر الأب على الخشبة.

- **الأب:** بعد حوار طويل قررنا (يشير إلى الزوجة في القفص وإلى الأب والأم والوجه والصديقة) أن نقتبس من قصة أهل الكهف فكرة ضياع الزمن وربما تلاشي قيمته.. ومن الإغريق عذاب الجحيم حيث الماء في متناول يد العطشان لكنه ما أن يمد يده حتى يغور الماء وهكذا. تخيلنا غريقاً يقبع تحت سطح الماء.. رئة بلا هواء تطحنها لألف سنة رحى الاستبداد.. وفجأة يتاح لها أن تخرج، فتشفط كل ما حولها من هواء.. لا تترك شهقة واحدة لآخر.. بل لا ترى أخراً.

- **الأب:** يشهق بعمق.

- **صوت الزوجة من القفص:** أهذا واقع أم خيال!!؟.

- تدخل الأم من يسار الخشبة وتتقدم نحو منتصفها لتواجه الصالة وتخاطبها مبتسمة وبلهجة مرحة تحافظ عليهما وهي تروي: أرجو أن تساعدوني.. أن تحرضوا خيالكم لترونني فتاة صغيرة.. ليلى التي كانت منذ بضعة شهور ذات ذؤابة..

سال دمي للمرة الأولى في بداية سنتي الثالثة عشرة، وقبل أن تدور الأيام دورتين (تضحك) كنت قد زوجت له (يدخل الأب من يمين الخشبة) وبعد دقائق وزغردت النسوة للأمومة المعمدة. تتوجه إلى الجمهور لتقول دعوني أقتبس: هذا الشرق يسمح بالكثير.. ربما بأي شيء شريطة أن لا تسمى الأشياء بأسمائها.

- **صوت الزوجة في القفص:** هل من فرصة.. وسيلة أو أداة لتحويل تلك الطاقة لأشياء أخرى؟. لنخرج من هذا القاع.
- **الأب:** كنا نتبادل الأفكار ونؤدي بعضها وهو(يشير إلى الرجل) يراقب ويشارك أحياناً.

فجأة جاءنا الوجه بما هو مدهش.

يشير الأب بيده إلى الخشبة.

تعتم الخشبة للحظات... ثم تضاء.

* * *

الفصل الثالث

الخشبة بلون التراب.. الجدران رمادية وخالية.. قرب الجدار المواجه للصالة مرمى هوكي والشباك منصوبة عليه، وإلى جانب المرمى رجل بثيابه الداخلية، وثلاثة رجال بثياب عسكرية وآخر بلباس مدني، يضعون حول وسطه وحول صدره أقفاصا من قضبان معدنية رفيعة سيلبسونه فوقها سترة عسكرية بدون رتب فيقترب شكله من المربع وأخيراً يضعون فوق رأسه ما يشبه التاج وفي يده صولجاناً، فيتحرك ليقف في المرمى.

يدخل الملعب رجل يلبس زياً عسكرياً وممسكاً بكرة، ويتقدم ليقف حيث تسدد ضربات الجزاء. يضع الكرة ويسدد على المرمى فيصدها الحارس المربع الذي يهلل هو وأعوانه فرحاً (بدون صوت)، ويقبضون على الرامي ويجرونه إلى خازوق منصوب.

- يجلس المربع المنتصر على كرسي الملك، ويستقبل وفود تنحني وتقدم الهدايا وتلقي المدائح (إيماء) وأعوانه من حوله.

- ثمة زائر يمدح ويقدم الهدايا ويهمس ويقبل يد المنتصر، لكنه وخلسة عن المنتصر يدس شيئا في جيب المدني وآخر في جيب أحد العسكريين (سندعوه الأول)، وقبل أن يغادر يدق جرس، فينهض الحارس المربع، ويذهب بسرعة إلى المرمى ليقف في منتصفه وهو يكاد يسده تماماً.

- يدخل عسكري يحمل كره يضعها على الأرض لكن وقبل أن يركلها يسدد الأول بنقيفه على الحارس فيصيبه في خاصرته فيتحرك قليلاً فينجح الرامي بإدخال الكرة.

يعتقل العسكريون الثلاثة الحارس المهزوم، وتهليل وفرح من أشخاص يدخلون إلى الخشبة بعراضة صامته، ويواكبون سوق المهزوم إلى الخازوق. يجلس المنتصر الجديد على كرسي الملك ومن حوله أعوانه: ذو اللباس المدني والأول.. وتجري مراسم تلبيسه ليصبح هو المربع.. الهدايا والمباركات ذاتها.

- تخلى الخشبة ليدخلها عدد كبير من الرجال والنساء: من يعمل حداداً خياطاً وخبازاً وفلاحاً ومعلماً وطبيباً يأخذ كل مكاناً، وكل يعمل بمهنته.

وتدخل الخشبة مجموعات كل منها من ثلاثة رجال وامرأة: مجموعة ترتدي اللون الأخضر ومجموعة الأحمر ومجموعة جلابيب بيضاء ومجموعة رابعة ترتدي الخاكي العسكري وكل

منها تدفع أمامها برج مراقبة لتضعه أخيراً بجوار أحد الجدران، وتبدأ باستخدامه لمراقبة الجميع.

- ثمة رجل يعمل بجد ونشاط ويتلقى تحيات ممن حوله. من كل واحد من الأبراج تمتد قصبة صيد سمك تلوح ويرمى خطافها نحو الرجل النشيط فتعلق بثيابه الصنارة الخضراء ويتم سحبه إلى البرج الأخضر بينما الغضب والنقاش يعم الأبراج الأخرى.

يسحب الرجل لأسفل البرج، وبطريقة تبدو كأنها مزاح ويرافقها ضحك: يقرص ويضرب ويركل بقوة حتى يجثو على ركبتيه ويهز رأسه مستسلما، فيتم إنهاضه، ويلبس ثيابا خضراء، ويقف بجوار البرج.

- يصطاد البرج الأحمر ناشطاً.. وبجوار البرج يظهر وحيد قرن أحمر يتقدم لينطح الناشط مرات متتابعة.. يسقط الناشط أرضا ويهز رأسه مستسلماً، فيتم إنهاضه، ويلبس ثيابا حمراء ليقف بجوار البرج.

- تتابع حفلة الصيد.. للرجال وللنساء المتميزين بنشاطهم.. ويتم تلبيس شاب الجلباب الأبيض بعد جلده بسبحة غليظة.

- مع استمرار الصيد يتباطأ إيقاع حركة مجموعات العمل، يصبح بطيئاً جداً وستعتم الخشبة تدريجياً أيضاً، وعندما يعود

الضوء سنرى دمى في المكان الذي كان يشغله البشر (خارج أبراج المراقبة) والمراقبة مستمرة.

- ثمة دمية تزحف لتواجه الصالة وتكشف قناعها لنرى شاباً ينشد:

كل صباح يلقي قادة

المستقبل عصي عدالتهم

كل مساء تتلقفها أيدينا حيات تسعى.

- المجموعات الأربعة تصطاده وتشترك في تقييده، ونسمع آهات ألم تصدر عن الدمى.

- تبدأ لعبة صيد جديدة لكنها هذه المرة تدور بين الأبراج مع بعضها البعض، وثمة غلالة شفافة أشبه بشبكة صيد العبيد تلقي على الدمى (الشبكة تغطي الدمى، وموصولة إلى نقاط استناد في أطراف الخشبة بحيث تحدد الشبكة مستوى أفقي يحتوي الدمى، بينما الأبراج كل الأبراج تقع في مستوى أعلى من مستوي الشبكة، وفيه تدور لعبة الصيد الجديدة).

أحد الأبراج يكبر ويكبر، بينما تتضاءل أحجام بقيتها، مع بعض التفاوت. تخرج من البرج الكبير خيوط صيد عديدة. هو وإلى حد ما يشبه الإخطبوط.

- يدخل الأب ليواجه الصالة مباشرة، وكمن يخرج من حلم: قالت الشلة هذا مناسب وسنعمل عليه بحماس. لكن فجأة برمت الدنيا (يشير للرجل) وأوقف سيادته العمل بدون تفسير.

- **الوجه:** قلنا إنه يتأمل وسنعود للعمل قريباً.

- **الصديقة:** ثم وفجأة طلب بأن نلعب ما يشبه السيرة الذاتية قائلاً: هكذا ستفهمون الحياة والمسرح. أنجز الديكور كما في البداية ووزع الأدوار، لا يوجد نص، فكل يرتجل حسب ما يراه مناسباً وكل مسؤول عن نفسه. ووافقنا.

- **الوجه:** للأسف وافقنا، فبعد ذلك وضع شرطاً؛ هو التقيد بجهاز التحكم وباتت الفرقة خادم وروبوطات، ولم نكن لنتوقع مشاركة من خارج الشلة.

- **الصديقة:** حقا! ما الذي أتى بهذا الحجاج فجأة؟.

- **الأب:** هو (يشير للحجاج الذي يقف في أحد زوايا الخشبة) أحد الحيتان الكبيرة جداً، وكان يحلم بأن يكون ممثلاً. طلب دوراً فأعطي له مقابل إطلاق سراح (يشير للحيوان) أكبر عدو للحيتان القاتلة.. الدلفين الشاعر والمعارض أبدا للحضارة البشرية منذ قتلت تنين الأرز في جبال لبنان.

يتبع الأب متوجها بحديثه للصالة: في الواقع لم نعد نلعب سوى الواقع.

على أحد زوايا الخشبة يسلط ضوء فنرى الحيوان.

- **الحيوان:** ربما لذلك تركوني أهرب من السجن!. الخيال.. الخيال حصان الحرية وسرير العبودية في آن معاً (ويتوجه للصديقة)؛ رائحة لدعوة مفتوحة.
- **الصديقة:** أنت لديك حصان!؟.
- لقد اندمجنا... ضاحكاً.
- **الصديقة:** لماذا لم تتحول المرأة التي أغوتك إلى حيوان!؟.
- لم تكن الأنثى من انتزعني من جنتي.
- **الصديقة:** من كان إذا؟.
- ستعرفين الجواب إذا لم يهزمك الحجاج، ومقلداً صوت الأم: هذا الشرق.
- **الصديقة:** لا تستطيع المرأة أن ترفع ساقيها إذا لم تسند ظهرها، وأنا أفكر بسرقته ذلك الجهاز، لدية المقدرة على التحكم في العناصر (وبسخرية وحنق معا).. هو قوة سيدي.
- أنت قوة من تسمينه سيدك.
- **الصديقة:** وذلك الجهاز.

- سينفعك لو أنك ترغبين أن تكوني مثله.. ويغادر الخشبة.

تظلم الصالة رويداً رويداً، ضوء قمر وصوت كمان عذب يغمرها.. الصديقة تذهب إلى المكتبة تأخذ منها كتاباً تفتحه وتقرأ: في غفلة من الضوء.. ارتدت شجرة الكرز فستانك.. تعتم الخشبة.

* * *

الفصل الرابع

يبدأ ضوء النهار بالتسلل الخشبة كما في الفصل الأول رويداً.. رويداً، وينهض الرجل من سريره متثاقلاً الوجوه على الجدار مستيقظة.. وكذلك في القفص.

- صباح الخير يا ماما.

- صباح الخير (يقولها الرجل بشكل طبيعي).

- **الأب**: صباح الخير يا أستاذ.

- صباح الخير يا باشا (يرد الرجل).

- **الزوجة في القفص**: عيش كثير بتشوف كثير.

- **الأب**: احم.. احم، أرجو أنك نضجت لأخذ ما تشتهي.

- **الزوجة من القفص**: يجب أن يؤمن على بكارته أولا.. لطالما عذبني خوف ابنك! (تفتح باب القفص وتخرج منه تجر معها عموداً كبيراُ لتعليق الثياب تتدلى منه فساتين وحقائب يد وأحذية)، لا يقيم وزنا لأية بكارة

ويخاف على بكارته. حبيبي إلي بيستحي من مرتو ما بيجيه أولاد.

- **الأم**: طول عمرك بلا حياء.

- **الزوجة**: حبيبي الحنفية عم تزرب. فيحدثني عن تاريخ الزربان ويختم بمحاضرة عن علم الجمال واللذة، ولك أنت الله الفشل.

- **الأم**: يا ضياع التعب، هذا جزاء المعروف.

- **الوجه**: تحدث عن اللذة؟. عشرون عاماً وهو يكرر سؤاله ذاك في كل امتحانات القبول للكلية.

- **الزوجة**: مثقف كبير وأنا لم أتجاوز الصف العاشر. وببعض الغنج: مواهبي لا تظهر هناك. في حياتي كلها لم أحفظ سوى قصيدة واحدة: «عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري». تأخذ نفسا عميقا كمن يستعد لما هو مهم وتتابع:

أذكر أنني أحببت كثيراً الشطر الأول من هذا البيت.. تخيلت درباً أسير فيه وأنا أشاهد المها في واجهات عرض حلوه.. آه.. حلو.. لكن الأستاذ الضيف قال أن جمال البيت هو في شطره الثاني.. في: أدري ولا

أدري!! (تهز رأسها وردفها استغراباً). المهم أنني في الجلسات العائلية كنت أستر نفسي بتلك القصيدة.. تعلمت كيف أتحدث عنها. كان دائم التوتر وأنا أتكلم أمام رفاقه، وكأنني جحشه متنكرة بزي امرأة والحديث سيكشف ذلك، كان يشخر توتراً. لذلك طلبت الطلاق.

- تدخل فتيات وفتيان الإعلان وبتتابع استعراضي يحملون لوحات من ورق مقوى مثبته إلى عصي خشبية كتب عليها بخط مزخرف:

مكتب البركة الحقوقي.. عراقة لا تضاهى بأمور الطلاق والشخير. مكتب الايزو للطلاق.. نحن فقط من يطلق عن بعد. مكتب العولمة للطلاق.. طلق وخذ هديه.. مكتب القائد القانوني.. خبرة قرون في الطلاق التعسفي العادل.

- الوجه ينطق بحرفين و ف، لكن تقاطعه الزوجة بحماس ظاهر لتقول: انتظر.. انتظر تذكرت. أنا لم أطلقه لذلك بل فعلت عندما جاءه مرة أستاذ مثله وتحدثا أمامي عن قصيدتي، وحضرت نفسي لأتكلم، وفجأة رسموا دوائر ومربعات ومثلثات.. ثلاث صفحات من تلك الأشكال.. أمسكها ذلك الجحش بيده وقال له: حسناً هذه هي القصيدة.. فهز الجحش الثاني رأسه موافقا فطلبت الطلاق.

- **الرجل:** في رأسك فساتين وأحذية وحقائب يد وعشرة أبيات من الشعر. تخيلي هذه المجموعة باقة.

- **الزوجة**: قد أعجب بفستان ترتديه امرأة.. لكنني لا أسرقه. تملكون عشرات القصائد وتسرقون قصيدتي، من أنتم!؟.

- يدخل الحجاج مرتدياً ثياباً بيضاء أنيقةً وبابيونه سوداء وزهرة قرنفل حمراء ويمسك بعصا أنيقة ويقول: ها ها.. ما أظرفكم أنا أحب المعارك الصباحية.. يلتفت إلى الصديقة يحدق فيها بقسوة وبصوت أمر يقول: هل فكرت بالمحاضرة؟.

- **الرجل**: هل هناك خطوط حمراء؟.

- «**الحجاج**»: بلا لف ودوران، أنا ما عندي ورق توت.

- تدخل مجموعه من فتيات الإعلان يلبسن أفرولات صفراء تلتصق بالجسم كتب عليها: توت العولمة، وينشدن بغنج ظاهر توت.. توت عا نيويورك يا بيي خدني مشوار.

تدخل مجموعة ثانيه بأفرولات برتقالية كتب عليها: التجمع ألتوتي المدنيقراطي وتنشد: يبلح زغلولي.. زغلولي.

تدخل مجموعة بأفرولات كتب عليها: توت القائد وتنشد:

توووت عنخ آمون.. توووت عنخ آمون.

يصفق الحجاج.

- **الأب**: إنما العاجز من لا يستبد.

- الصديقة ترتجف وتتمتم.

- يقترب «الحجاج» منها ويضع راحته على رقبتها، وبقسوة وعزم يقول: لقد ذهبت هند برقاب كثيرة وحسن لها أن تكون مع سيد القطيع؟.

- **الصديقة** تتقوس، وتحاول النطق فلا تستطيع.

- «**الحجاج**» يضحك ساخراً: ابتلع القط لسانك أيتها المقوسة؟.

- **الصديقة** تحاول.. تألم.. وتعجز عن النطق.

- «**الحجاج**»: هذا مرض ولا منجاة من الموروث.

- يدخل الحيوان الخشبة ويقف قبالة الصديقة.

- «**الحجاج**» **للحيوان:** كنت دائماً مهزوماً وستبقى كذلك، وعندما تشفى (مشير للصديقة) بحسن رعايتك طبعاً (يقهقه) ستركع عند قدميه، وستحار أنت ما السبب. كم تمتعت بحيرتك. ويتابع مخاطبا الرجل: ذلك الغبي عاجز عن إدراك أنها لا تستطيع أن تعيش إلا كعبده كارهة لنفسها.

- **الصديقة** تحاول ثانية فينتشر الألم في وجهها، ولا تستطيع النهوض.

- **الزوجة** تقترب من الصديقة وتمسك بيدها، والحجاج يعطي إشارة من يده فيدخل رجل (هو من سمي بالأول في المقطع الإيمائي) ويمسك بعمود الملابس ويجره إلى خارج

الخشبة فتهرع الزوجة خلفه مولولة.. ويقهقه الحجاج والأب والرجل.

- **الأب:** لقد عرفت الداء.

- **الأم** تخرج من الحائط وتقترب من الصديقة تمسك بيدها وتقول: بسم الله الرحمن الرحيم.

- «**الحجاج**» ينظر إلى الرجل مستهجناً.. والرجل يرمي جهاز التحكم في الهواء ليلتقطه الحجاج ويضغط عليه بسرعة فتعود الأم مثل روبوط إلى الحائط.

- «**الحجاج» للرجل:** حذار أن تضعف قبالة يائس.

- **الحيوان:** أنت تشرع للبشاعة.

- «**الحجاج»:** أنا أشرع للفوز.. والوصايا العشر تشرع للخسارة للضعفاء وللأغبياء..

يتوجه للصالة لأول مرة ويتابع بنظرات حادة وواثقة من سخريته:

لا تقتل.. أدر خدك.. لا تشبع.. يا فئران العالم اتحدوا. ثم هؤلاء النباتيون والخضر والأشجار والأنهر والهواء هراء.. هراء.

وبجدية صارمة: لقد قتل قابيل هابيل كما تقتل النملة نملة.

وبهيئة متسلط يمتلك الحكمة: أنت وحش ويجب أن تطلق صوت الطبيعة فيك إلى أقصى مدى ممكن. الصراع من يطور وليس أنين الضعفاء.

ثم يلتفت إلى الرجل:

هناك نسوة سيشعلن أماكن لذة مدفونة في خوفك وترددك.

- **تدخل فتاة إعلان تضع حول وسطها إطاراً كتب عليه برواز الصداقة وتقول:** شفت متلو.. اتصل بتشوف أكثر.
- «**الحجاج**» **يضحك ثم يتابع:** ستنال الكثير من ذلك (مشيراً للإعلان)، ستنال السلطة، المتعة الأعظم.. متعة قهر الآخرين ومراقبة انسحاقهم.
- **الصديقة** تطلق أنين وجع ساحق.
- **الحيوان:** أرادت الضفدع يوما أن تصبح بقرة فانفجرت. كان خير لها أن تقبل بحجمها.
- «**الحجاج**» **متهكما:** بلاغة الضعفاء.. سننفجر جميعاً يوم القيامة. يضغط على جهاز التحكم فتعود الوجوه ومثل روبوط إلى الحائط، ويضغط ثانية وثالثة لتختفي النوافذ كلها، ويدخل الخشبة ثلاثة عسكريين ومدني (شاهدناهم في الفصل الإيمائي) ويرمون شبكة على الحيوان.

- **الصديقة للحجاج وبعناء كبير**: أنت عدو الطبيعة.
- «**الحجاج**»: الطبيعة.. أقواس القزح.. حداء الغرانيق.. الطبيعة.
- **الصديقة** تزحف وتمد يدها.
- «**الحجاج**» ماذا تريد المقوسة الشوهاء.. ها.. ها.
- **الصديقة** وبصعوبة تبدأ القول: أنت لست الحجاج.
- طبعا أنا لست الحجاج، ويبتسم ساخراً.
- أنت شهوة ولدت في كل منا وتراكمت ككرة ثلج.. أنت شهوة الوعي.
- «**الحجاج**» ضاحكاً وبسخرية فجة: قالوها قبلك، بوذا والناصري ومحمد وغاندي وشكسبير. سبحوا ضد تيار الطبيعة وفشلوا.
- **الصديقة**: أنا أحمل إرثهم.
- «**الحجاج**»: أنت واهمة.. لقد ابتلعت ارثهم أيضا، وما أنت إلا زانية تعاشر رجلا ليس زوجها.. ولا مهرب لك من القصاص.
- **الصديقة**: أنت لم تصنع مقلاة تناسبني بعد.
- «**الحجاج**»: صنعت غابات من المعايير ستكبلك كرزمة للشحن. أنا أكبر مؤسسة أنتجها العقل البشري، وهاأنذا ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير. أنا من يدير دفة القدر.

- **الصديقة تتقدم نحو «الحجاج»**: أنت تدير دفة الشقاء وأنا حدث جديد في هذا الكون ولست بقادر على احتواء شذوذي.
- «**الحجاج**»: أنت عاجزة عن فهم ما يجري.. يضحك بمتعة.. ثم يلتفت للرجل قائلا: هيا.. الحضور في انتظارك أيها المفكر الكبير.
- **الرجل** يتناول سترته الملونة بالخاكي والأصفر والأحمر والأسود.
- «**الحجاج**» يرمي الجهاز إلى الرجل الذي يلبس الثياب المدنية، والذي يبدو بوضوح أنه قائد مجموعة الصيد.
- **الصديقة** تثب وتضرب الجهاز بكفها فيصطدم بالجدار ويسقط.

- يدخل الخشبة رجل يضع فوق رأسه صورة لأديب الشيشكلي يشير بيده بحركة متكررة وهو يرتجف ويقول: ما في غيرك أبو حسان، ويكررها إلى أن يختفي في الطرف الآخر. يدخل أخر من الطرف الثاني للخشبة وهو يحدث نفسه: أنا جحش أنا أهبل ويكررها. تدخل امرأة الثلاثين وتقول: شخاخه وبتنام بالنص وتكررها. يدخل رابع بثياب رثة معه دراجة هوائية ويغني مقلدا فريد الأطرش: عدت يا يوم مولدي عدت يا أيها الشقي. يدخل اثنان متأنقان من اليمين وآخران من اليسار يقول كل منهما للآخر: قرأت مقالتي؟ فيجيب الآخر: قرأت مقالتي؟. يدخل خامس مفتول العضلات

يحمل دولاباً ويمسك خيزرانه يضرب بها الهواء وهو يقول: لو كان ببطنه شيء كان طلع، ويكرر.

- يد خل زوج متأنق آخر ويقول أحدهم: ولك أنا كنت شايف شو بدو يصير. يقول الثاني ولك أنا كتبت كل شيء. وعلى بلاطه حطيتها كلها على بلاطه بس الحمير ما شافوا.

- يدخل ثنائي متأنق ويقول أحدهما: ولك إذا بتضرط فيه من يسرق الفكرة منك، فيجيب الأخر: ها لكلب عامل حاله زعيم ومفكر ولك طيزي بتفهم أكثر منه (يجب أن يكون واضحاً من الحركة ومن النطق أن جنونهم الداخلي المكبوت قد هرب منهم إلى الخارج).

يدخل رجل يحمل لاسلكي ويقول: سيدي كلهم عملاء وجواسيس والوطن مهدد.

أثناء كل ذلك وطوال وقت الدخول والخروج والمونولوجات؛ يدور وبدون توقف صراع بين ذي الثياب المدنية وبين الصديقة؛ هو يحاول التقاط الجهاز وهي تحول دون ذلك، ومع نطق حامل جهاز اللاسلكي بعبارة «الوطن مهدد». ترفس الصديقة الجهاز بقدمها فتتحرك الدمى الموجودة في القفص منذ بداية الفصل الثاني وبشكل جماعي لتقول: إذا فسد الملح، وتعيد المقطع بإيقاع متصاعد ليصبح صراخاً.

- يتمكن ذو الثياب المدنية من التقاط الجهاز، ويضغط عليه فتعود الدمى إلى السكون.
- تدخل الأبراج كلها وبينها جديد كروي وترمي عليه.. تعتم الخشبة وتضيء ثانية لتأخذ الخشبة والمجموعة كلها شكل المشهد الإيمائي.. كما في الفصل الثاني حيث الأبراج في مستوي والبقية في مستوي أدنى، لكن الأبراج لا تتنافس.
- يخرج «الحجاج» ومجموعة الصيد وهم يجرون الحيوان.
- الخشبة خالية إلا من هند.. تنظر إلى الصالة ثم إلى القفص ثم إلى السرير الخالي ثم إلى القفص ثم إلى الصالة.. تتمتم لكننا لا نسمع أي صوت.

* * *

علي محمد

دمشق: ٢٦كانون الأول ٢٠٠٤

n

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة





www.syrbook. gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ٦٠ ل.س أو ما يعادلها